في سورة الهمزة...
مقاربة لغوية تكاملية

د. أحمد فليح
قسم اللغة العربية
جامعة جرش - الأردن

ملخص البحث:
الحمد لله، ولا قوة إلا بالله والصلاة والسلام على رسول الله، ومن تبعه ولاه.
فينهض هذا البحث لتشخيص جملة من الآدوات الفنية والتقنية الإسلوبية، التي استخدمها النص القرآني في سورة الهمزة، متمثلة في الجرس الإيقاعي الذي يشكل منظومته أصوات متجاورة منسجمة على وفق نسق معلوم لافت النظر، وجاذب للسماع يشده شداً ويبذل له وسمعه فيستقطبه مذعنا لسماعه.
درس البحث آلية تناسق مخارج الأصوات وصفاتها وتأثيره في القيم الموضوعية والطروحات الدلالية في السورة الكريمة.
وعقب ذلك التفت البحث إلى البعد الشرفي، وما فيه من ظواهر مميزة، ثم توفر على الأبعاد التنظيمية في التراكيب النحوية، فلاحظ أن السورة تتضمن بأسلوب بنائي فريد، لكل كلمة لزنى إلى أختها في قرن متماسك يشكل نسغا بنائياً فريداً، ثم التفت البحث إلى المسائل البلاغية الفاصلة التي تضفي سمتا أسلوبياً ممتعاً. وانتهى البحث عقب ذلك بخلاصة أوجزت جل معطيات البحث.
ويتائجه،

منهجية البحث:

وُفِقَ للبحث منهجًا في الدرس اقتتاليًا يُقوم على تحليل النصوص وتفكيكها إلى عناصرها ومكوناتها الرئيسية، في المستويات اللغوية الثلاثة: المستوى الصوتي، المستوى النحوي اللفظي، والمستوى البلاقي الأساليبي، للكشف عن مواطن الجمال الأخاذ فيها، في منهجه اقتتالي تكآلي، يعني بالظواهر في مستوياتها للكشف عن القيم الفنية التي يوظفها النص، ليقف القارئ عليها كي يزيد استمتعاؤها وتأثرا بها فيصعد لرؤيا قيمة الموضوعية، فالقرآن الكريم ينطوي على أساليب لغوية ساحرة ثر يظهر في المستوى الصوتي أو المنصري أو التركبي النحوي، أو الأسلوب البلاقي أو الدلالي، فضلا عن القيم التعبيرية المعجزة، وكلها قيم فنية تنتمام مع أسرار أخرى ما تزال موضى مباقحة، وأنظار، تمتاز بك تشكيل أساليبها نصيا، عجيبا هو أساليب القرآن الكريم لإعجازه وفصائحة ولذته وجماله.

مئاد استثنائي:

توفير القدماء ومحدثين على درس سور القرآن الكريم بمناهج شتى، واجتهدوا في الكشف عن مواطن الإعجاز والجمال فيها، ولا يزال القرآن واحة تفكير، وملذاً تامل لكل مجتهد، وكل يرجع بصيد لؤلؤ ثمين كلا غاص في ذلك البحر القرآني العميق، وهذا مؤشر على أن الكلمة المنتهية التي لا معقب عليها في إعجاز القرآن الكريم لما تحسن، وسيظل البحث في القرآن وأسره يتواتر ويتلال، وهذا في ذاته معجزة من قبل أن بلمة الخطاب في القرآن تحمل الإقناع لا الإملاء، وتنسل بالحجة المنطقي الهادي وال الحوار المتمت الجذاب، يخلق
المتوازات، وتبديد التناقض والوهم، ببلاغة متجذرة في الفصاحية وبراعة الإقناع وعمق الرؤية.

وعلي الرغم من كثرة ما قبل في القرآن الكريم من تفسير واجتهادات تتلمس مواضيع الإعجاز، فلا يزال باب الدرس والتنقيب في أسراره مفتوحاً لمن يلح بحسن نية، باستفادة معطيات العلوم المحدثة، أو بانتاج طرائق جديدة، أو باستنبات أساليب تحليلية مساعدة تميزه التأتم عن مواطن الجمال في الخطاب القرآني، قال العلامة بدر الدين الزركشى، صاحب الورى: "العلوم ثالثة: علم نضج وما احتراق، وهو علم النحو والأصول، وأعلم لا نضج ولا احتراق وهو علم البيان والتفسير، علم تضج واحتراق، وهو علم الفقه والحديث (1)."

ونحن نصعد بهذه الأطروحات التي أذن بها العالم الجليل، ونحن لها، وأجدني مدعوماً بحماسة مستهدفة العبون من الله، للغوص في هذا العباب اللازم لعلنا نجلى بعض المواضع، أو نكشف عن جمال بعض المواطن كيما تظل هذه اللؤلؤة المعجزة مؤلفة شفية.

لقد توفر عدد من القدماء والمحدثين على الدرس القرآني إما دراسة صوتية أو بلاغية أو نحوية وإعرابية، منهج منفصل، يخذر أمجادًا من كل مستوى، ونحن نحننا النص القرآني تخلوا صوتياً صريحاً نحوياً بلاغياً تكاملياً، لم نتقبل أحداً من الدارسين بين أننا نهدينا وتوثينا ببعض التفسير المتقدمة التي تقاومت السورة الكريمة، وشكلت صويا على الطريق، ولقد ظل تفاعلات هذه السورة تمر في وجداننا حولا كرينا نديم التنقيب، ونطول التحقيق، وتمده للوقوف من كثب على طبيعة الحركة اللغوية، والتقديرات الصوتية التي تؤلف بعض بلاغتها فرأينا أن التركيب الصوتي والصرفي الظاهر في معطيات السورة
يشمل علامات بارزة في إيقاعها، ومنظمتها الصوتية، وجريسها المميز ورأينا أن كثيرًا من مواطن الجمال يرتدي لهذا البناء الصوتي الفريد فيها فاستظهر البحث أميزها وأفقها.

ومن يصدق بعيدي في سور القرآن الكريم، ولا سيما القصارات المكتات فلا بد أن يترأى له في الخاطر الأول أن السورة الواحدة تنظمها جملة من الأساطر الصوتية تشكل مؤشرًا ملخصًا لمحتوى السورة وأطرحتها الرئيسية، فمثلًا قوله تعالى: "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من عقل". إلى أثر السورة تلحوظ أن السورة كلها متسقيلة بصوت القاف، الذي يشكل البؤرة الرئيسة لحركتها الصوتية الذي ينسجم بقوته وصعوبته النقطية ومساحة الخلق المعجزة، وما تنبؤه عليه من صعوبة.

بيد أن سورة ( الناس ) بنين منظمتها الصوتية على صوت السين المهروس، كما يجسد همسات الرسوسة بين ظهراني الإنس والجن. وقد بنين سورة الصمد بناء صوتيا يرتبط ارتباطًا قويًا بمضمونها الفكرى، مما جعل المرء يهجم بعلاقة متبينة قوامها التلاحم الملموح بين أصوات الآية أو السورة الواحدة التي تشتمل منظمتها لها علاقة متبينة بالقيم التعبيرية والمضامين الفكرية التي تؤذن بها السورة، ففيفضي ذلك إلى لحمة ممتدة وتناسق ظاهر يشد السامع ويجبره للاتسات إلى تلك الأصوات المتناغمة، فيتلقى الرسالة التي تنطلق عليها السورة، فالأفكار والخطاب يسيغها النص القرآني، ويسلكه إلى المتلقى على طبق من جرس كلامي وإيقاع صوتي متالف ومتجانس معه، فيكون أكثر تأثيرًا وإقناعًا.

وسورة الهمزة تعالج نقيضة اجتماعية تعد من أكثر الأدوار الهامة المعاينة.
في سلوكينا الناصرة في بنية الفرد والمجتمع، وهي سلوكي الهمز والمر في الناس وهي تنطوي على التقول علي الناس، والإفتيات عليهم رجما بالوجب، أو إرضاء لنزوة، والتخوض في هئاتهم والتلفيش والتشريع علي الناس يؤدي شبهة ومن غير ثابت، وتتنقص البشر والإفتيات عليهم، ونبش الصفاتهم إفكًا ويهتانًا، مما يفضي إلى التقاتل والتنافر في منظومة المجتمع، وسادة الكراهية والحقد في العلائق الاجتماعية فينهار البناء الاجتماعي الفاضل الذي أسهم الإسلام في تشييده، وتلتقيت السورة الكريمة على واجباتها إلي معالجة نفحة عقدية تتفتح في تشاغل الناس بجمع المال بأي طريقة، وكسب من أي وجه إن حلالًا و وإن حراما، فيشغف الإنسان عن رسالته التي خلق من أجلها هي عبادة الله، وتدق أساؤن الكره والمشدد التفاوت الطبي والمالي بين الأغنياء الذين يمتلكهم الجشع والإستغلال البشع، فإنحدر المجتمع إلى هاوية الحقد والبغض والتحائد، فالسورة الكريمة تسعى إلى التوازن بالحفاظ على حقوق الإنسان وصحته النفسية السليمة التي لا مطعون ولا مهمز ولا ملمز فيها، ولا غمط ولا استغلال ولا ابتعزاز وحقوق الجماعة بإجراء شبهة علاقات متوازنة متواشجة متراجمة، وبناء مجتمع الحق والعدالة والفضيلة والمجتمع، باحتوائه على فردية متقبلة متكرفة اجتماعياً متوازنة مع المجموعة فبنك تحقق حقوق الفرد متسوقة بأمان في ظلال حقوق الجماعة التي ترعى الفرد نفسياً ومالياً وتحتضنه.

ومع أن السورة الكريمة عالجت واقعة خاصة هي حال الأخنس بن شريك(2)، إلا أننا نستطيع المساواة في بعد أشمل وهو تجاوز خصوص السبب إلى عموم الحكم.
هذه النقاشات الاجتماعية المتضمنة الساخرة، أو الاستثناء بالمال، وإهدار الوقت والهدف في جمعه، هي قضايا مستهدفة من لدن العناية الإلهية، ومرغوب إقناع البشر بصحتها وأهميتها لهم سيادة الحق والخير والعدالة، وإعمار الحياة، والفوز برضا الناس الخالق هذه القيم العقدية، ما القيم الفنية، وما الأدوات والأساليب التعبيرية التي تحميتها طبقًا شهيا مقتعا إلى الناس المتلقين؟ هذا ما سنعدم إلى توضيح في التو، في المحاور الآتية:

1- المحاور الأول: بعد الصوت في الصورة:

والفرض الذي يترمز البحث هو تحليل المنظومة الصوتية للوقوف على باب التلاويم بين الحروف في التأليف، وتاثيره في جمالية الأسلوب وقضايا البناء النصي والإرتباط بين ذلك والمضايعين التي تنطوي عليها السورة، فقد يكون التأليف بين الحروف متقارنا كقول الشاعر:

وقبل حرب في مكان فجر، وليس قرب قبر حرب قبر

ذكروا أن هذا من أشعار الجن، لأنه لا يتيح لأحد أن ينشده ثلاث مرات فلا يتتعظ، وإنما السبب في ذلك ما ذكرنا من تنافر الحروف (4) والمتلازم في الطبقات العليا القرآن كله، وذلك بين، من تأمله ... وسبب في التلازم تعديل الحروف في التأليف، فكلما كان أعدل كان أشد تلازمًا وأما التنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل من بعد الشديد أوقرب الشديد، وذلك أنه إذا بعد البعد الشديد كان منزلة الطفر، وإذا قريب القرح الشديد كان منزلة مشى المقيد، لأنه منزلة رفع اللسان ورد إلى مكانه، وكلاهما صعب على اللسان، والسهولة من ذلك في الاعتدال، ولذلك وقع في الكلام الإدغام والإبدال (4).

ومخارج الحروف مختلفة، فمنها ما هو من أقصى الحلق، ومنها ما هو
من أدنى الفم، ومنها ما هو في الوسائط بين ذلك، والتلاوذه في التعديل من غير بعد شديد أو قرب شديد، وذلك يظهر بسهولة على اللسان، وحسن في الإسماع وتقبله في الطباع (6).

ولدى رصد الصورة الصوتية في السورة الكريمة ظهر أن عدة كلماتها تناهت إلي (27) سبع وثلاثين كلمة، انطوت علي (139) منحة وتسع وثلاثين صوتًا، بلغت عدد الأصوات الصائنة، أو المدود الطويلة (11) أحد عشر صوتًا. الألف أو الفتحة الطويلة (7) مرات، والواو أو الضمة الطويلة (2) مرتين، والياء أو الكسرة الطويلة تناهت إلى مرتين حسب.

وتوزعت الأصوات الصوانت في تكرارها في البث الآتي:

الإتمة: 7 مرات، ب: 10.2 منها (8) مربطة،

أ: 1.2.3.4.5.6.7.8.9.10.11.12.13.14.15.16.17.18.19.20.21.22.23.24.25.26.27.28.29.30.31.32.33.34.35.36.37.38.39.40.41.42.43.44.45.46.47.48.49.50.51.52.53.54.55.56.57.58.59.60.61.62.63.64.65.66.67.68.69.70.71.72.73.74.75.76.77.78.79.80.81.82.83.84.85.86.87.88.89.90.91.92.93.94.95.96.97.98.99.100.

العطف، ي: 5.

واللهف للنظر في هذه الأصوات، أن أصوات المد بلغت شؤوا متواضعة، (11) صوتًا حسب، من قبل أن الخطاب القرآني في هذا المقام هامس وجداني.

عقلاني يمس شريحة مستفخي ناشرة في المجتمع، وسلوكها مرفوض، أو ينفي أن نظل صبرا غبيًا على وضعهم لإصلاحه، فكان الخطاب مفعم بالإسهام وحسن التلفظ، وتذبذبة التثبيت، والإصلاح بالحجة وليس بالتشنج، وفضح المواقف فينفض الناس، بل ينبغي احتواء الناس واستيعابهم بالمالية.
والترغيب، وحسن البشارة، كيما يتقبل الناس المتلقون الخطاب بأريحية واقتناع، ففجاء الخطاب هامسا عاتبا ملاحظا ممزوجا بالوعود والوعيد، مراحا بين الترغيب والترهيب، إن في المنظومة الصوتية وإن في المضامين الفكرية المطروحة.

وأكثر الأصوات شيوعا هو صوت اللام: 21 صوتا وهو صوت صامت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة، ومنفتح، ولعل في شيوهه تبسيدا لفستية المستقيلة، وضرورة الاحتواء العقلي المسماح للخطأين، ومكافحة القسوة المفاضلة إلى قطع التواصل والنقور والجفوة ومزائلة المقاصد، وتفويت الرغائب المرسومة.

واللام مخرجه من جنب اليسان فهو لوثى، والأصل فيه التريق، وقد يفخم، وذلك في لفظ الجلالة، أو إذا سبقه أحد الأصوات المطبقة مثل: الصلاة، والطلاق، والظلم، ويجوز تفخيمه إذا تلاه صوت من أصوات النفتحة (1).

وجاء صوت اللام في كل مواضعه مرقا، وعلل ذلك يتم على مقاصد تعليمية توجيهية من لدن رب العباد، في أبد التعامل مع الخارجين على سنن الحق لاستقطابهم أبداً، وهو نموذج رفيع من أدب الخطاب الرحياني المؤصل على الحجاج ومجافاة اللجاج واللداع والعقد في التعامل البشري، وعلل ذلك ينفض في مراجعة العباد إلى سنن الحق وإيجاد مجتمع متحاب متلاحام نظيف من الأحقاق والأثمانية.

ويرد بعده في الترتيب صوت الميم: 46 مرة، وهو صوت أنفي مجهور، ثم صوت الدال 12 مرة ومخرجه من أسهل المخارج وأقناها، وهو يفيد الشدة لجهارة، ثم صوت النون: 12 مرة والميم مثل النون مع شئ من الخلاف، وهي...
كثيرة التأثر بالأصوات التي ترد بعدها (2).

ولعل في هذا مؤشر على محتوى السورة من أن المواقف فيها من هرمز أو لمز أو جمع المال يشكل قضايا اجتماعية متناهية في الدقة والتعقيد، من قبل أنها تشبه أن تشكيل شبكة علاقات متماسكة أبداً، متشابكة مؤثرة ومثيرة مثل هذه النونات.

أما الأصوات الحلقية التي تسبب إعاناً واستيقاً في مخارجها فهي متواضعة الحضور، ولعل وراءها دلالة قوية على تجنب العنف والاستيكراء.

أما حركة الأصوات من جهة الوضع فهو يقول: إن الراو والملا تمثلان درجة عالية في الوضع الصوتي، بيد أن الراو وردت مرتين أما اللم فوردته (11) مرة بالمسم (12) مرة وهي من الأصوات الواضحة في السمع والنون (13) مرة، وهي أيضاً كذلك وهذا يعزز قولنا: إن السورة الكريمة في هذا الخطاب وظفت تقنن الأصوات الأكثر وضوحها في السمع، وهي آلة متقدمة من قبل أن الهمز والمزم، وجمع المال وعدة مسلك ينتمان في الخفاء والظلم فدعت السورة إلى محاربته ونيتها، ليس مباشرة فحسب، بل أيضاً بالتضارب الملموء بين المضمون والمحتوى والأصوات اللغوية التي تقدم تلك الطرائق بالآية ملائمة كما تطال هذه الأطر السلكية فتدنيها وتززيها بها، وتستنا على تصاريحها، فيتستر الخاطب بهاء معنى مباشرة، فأخذ استجابة تنسج والخطاب المذكور.

استهل الخطاب القرآني الأطروحة بالحركة اللغوية: (ويل)، وهي تشكل فضاء صوتيًا معناً بالحيوية النابضة: وأصوات متوسطة ومجهورة لثوية، الواو شفوي شديد مجهور مرقع، واللياء مجهور غاري والملا لمثالي جانبي مجهور.
والتدوين نعتده نودا صوت أنف مجهور لنوى، والانسجام ظاهر بين هذه الأصوات فالانتقال من الواو الشفوية إلى النهي الغارية إلى اللام اللثوية، إلى النون اللثوية يتأتي بتزوجية وكيسة، من غيرها إعтан، ويهديها التكلم بسلاسة وعفوية، ومتلله قوله تعالى: فكل: الانتقال من اللثة إلى الطبق ثم إلى اللثة هين مريح، ومثله في أصوات: همزة، ما أيسر حركة النفس من الحنجرة إلى الشفتين إلى الأسنان اللثوية إلى الحنجرة بتباعد أرجح على التكلم، وأخف على المتلقى، ومتلها: همزة) تطوف مريح بين مخارج الأصوات، يجسد سلوك الباحز اللام في سهولة إطلاق الإشاعات، وصعع العيوب بالناس من غير روية أو تكلف حجة أو إثبات.

وقوله تعالى: (جمع): فالجيم غارية، والميم شفوية، والعين حلقية، فالتبادل بين المخارج شديد، كما تجسد هذه الفقرات والنقلات بين المخارج، والتمجسم المعنى في الحركة الصوتية، تجسد حالة الطاعم وهو يزاول جمع المال وحشده من أي وجه، فالكمامة الصوتية رفع المكافحة النفسية، وصدى الصراع الطاعم في احتجان المال من كل مكان، فجمع المال الطاعم والبخيل مازوم مهماً يرتكس إلي معاناة في الجمع، والتمثيل والإلماء، والضمن به عن الناس.

وأظهر ما يكون التوقيب بين الأصوات في إيقاعها والدالالة في تشكيلها المضمنة في قوله تعالى: (أو عهد؟)، إذ حشت منها ثلاثة أصوات هي الدال والعين، وهي رجوع مكافحة صوتية فالعين صوت حلقى سمع في العمق والغور، والتكلم يكاد في نطقه والانتقال من العين سهل من قبل أن الدال أسنانه لثوى، وهو انفجاري مجهور، فالانتقال من صوت إلى صوت هنا ميسور.
فالتركيب نفسه في (عدد) سهل وحسن (8). إلا أن المكابدة تلمح في ذلق الصوت المفرد ووحدة من قبل أن العين حلقتة، والدال مضمونة ثلاث مرات، والصوت إذا ضعف أفاد المبالغة والتكثير، على نحو ما نلحظه في صرّ وصرص، على ما نبه عليه الخليل (9). والمناسبة ملحوقة بين الصوت والدلالة مثليما نبه إلى ذلك سيبويه (10) وسماه ابن جنني: تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني (11) ومرة سماه: باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني (12).

فالعين تجسد الحركة النفسية لدى جامع المال: إذ تظهر الصعوبة في عملية العد، والحرص على استخفاء المال لئلا ينفضح أمره، والدال تجسد كثرة العد بين الفنية والأخرى، ليقف على حجم التناهي والتزايده في حجم المال المكسوب بثوبه مليئه والمحجوب عن إقادة الناس منه.

وأما قوله تعالى: «أخليده»، فالهمزة حلقة، والفاء طبقية واللام لثوى والدال أصائلي لثوى، فالشدة والتباعد بين الأصوات واضحة كي تبين أن المسافة بين صاحب المال المذكور والخلود مسافة متتالية تشق الإحاطة بها.

أما قوله تعالى: «ليكين»: من الفعل: نبذ لثوى ثم شفوى ثم أسانى، والنطق سهل بها. يشأك سهولة الفعل المنطوق بالباري، فروج، وهو قذف هذا المعنى في النار بخفة ويسر، علي طريقه نذالنشأة أو الحصادة في النار بسهولة وشفقة.

أما قوله تعالى: «الحمزة»، فهي تتألف من منظومة صوتية مجلجلة، معبرة، الحاد صوت حلقي مهموم، والطاء مطبق انفجار مهموم أيضاً، والميم شفوي متوسط، تدل في مجملها علي الصحب والقوة، فهي تجسد الحطم والسحق.
ويتميز القوة والصخب باستعمال صيغة (فعلة) الدالة على المبالغة، وتتضمن التأة لتعزز المبالغة، وتنمو بهذا التفكير القاسد ليعطي إيقاعا مرتنا. يشكل صورة مهيبة: "لبنزن في الحنظل، وما أدرك ما الحظمة"، فالجرس الآيقاعي الذي تجسد هذا الاضماثات الصوتية المتغيرة تجسد حركة نفسية داخلية متموجة تتضح بالحركة المشبوهة بالدالة الجهيرة القوية.

وفي قوله تعالى: "مؤقتة"، أصوات توجي بحركة شموم النار، وابتعاد جذورها البطنية أولما احتراسها بقوة القافية الموحية بها، التي تحكي حس النار في اشتداد أوارها، أما الدال فهي تجسد اندفعان النار المشبوهة المتلألئة.

فأصوات مجمدة معبرة.

أما قوله تعالى: "اللّه تعالى من الفعل (ظل) التي تبدأ بالنقطة المطوق الذي يزيد من قوته تضعيفه ليجسد سرعة السرير والإحرار، وفي حركة الأصوات تجسد دلالة حركة النار في الإحرار فهى تبدأ من الطاء من اللثة والأسنان ثم تنعمق الحركة الصوتية إلى اللثة ثم ينير الصوت إلى العميق مثلا تسري حركة النار في الجسم إلى العميق، فالعين هو أعمق أصوات الظل، فهي حركة تحكي حركة النار من الجلد ثم إلى العظام ثم إلى الأفدة، فاللحم متشابهة بين حركة الأصوات، وحركة الفعل لدى النار.

وتظل هذه المناسبة قوية شاخصة في كل كلمة ترد في هذه السورة، مناسبة قوية بين الآيقاع الصوتي المتوازي من الانتهاء المتعمد بين الأصوات، إن في مخارجها، وإن في صفاتها، تتشى بالمعنى وترشحها، فحينئذ تصبح العلاقة بين الأصوات والدلالة أو المضمون قوية، فيحس المتلقي بالاسترواح في التمسك بالدلالات المتضمنة، ويسعى أكثر انفعالا وتأثرا واستجابة بنص لغوي...
متوانين منسجم بين الأصوات والدلالات فتحدث الاستجابة السريعة، ويسير النص ذا إيقاع ملد وجرس ممزيع، يزيد من جمالية النص، وجعله لانطا بالنفس، لصيقا بالروح، وهذا ما تلمحة في هذه السورة الكريم، بما فيها من نفس إيقاعي متناصم فريد، أحلها في منزلة بلاغية سامية، فلا تملك ونحن نتلوها إلا أن نرد مع الوليد ابن المغيرة، لما وصف جمال القرآن الكريم: إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، مشمر أعمله مغدق أسفله، يعلم ولا يعلٍ عليه (١٢).

ولعل سمة أخرى إيقاعية ملموحة في السورة تلمسها في هذا التجاور والتجانب بين بعض الأصوات، في توضعها على النحو هذا، الذي وجدناه، ويتراها لنا من غير تهافت أو تحكم أو افعال أو لذ روا التصور، ومن ينشر في السورة الكريم يجدها تستجمع ألواناً من التجاور الصوتي الذي تتضفر فيه الأصوات المتماثلة، أو المختلفة، فتؤدي في التحقق إلى وتأثير إيقاعية، ونموذج صوتية عجيبة، هي مناطق هذا الجسر الذي تحسم الأذن إبان تلاوة هذه السورة، وهذه بعض ملاحظها:

١ - ويل ... لكل ... ويل ... لكل. منظومة اللامات

٢ - همزة ... لمزة، همزة، لمزة ... همزة، همزة، لمزة ... همزة، منظومة الميم والزاي والباء
3- الذي جمع مالاً. منظومة اللامات
الذي جمع مالاً وعدده. منظومة العين والدال

4- يحسب أن ماله أخلله. الهمزات والهاءات
ماله ... أخلله. اللامات

5- كلاً ... لينبنن. اللامات والنونات

6- لينبنن في الحطمة. اللامات والياءات

7- في الحطمة وما أدرك ما الحطمة. تماثل الأصوات والمفردات.

8- التي تطلع. الثاءات واللامات.

9- التي تطلع علي. اللامات والعينات.

10- علي الاقنعة. اللامات.
11- إنها عليهم .. موصدة .. الميمات والهاءات.

12- الأفظة ... موصدة الهمزات والتنوأتات

13- في عم .. همدة .. الميمات والدالات.

وقد عجز من فقيض .. وقل من كثر .. تمور بها السورة الكريمة من شبكة العلاقات الصوتية المتلاحمة .. مما يحقق مقطوعة إيقاعية .. ولوجة فنية صوتية تستغرق وحدها الأذن وتذكى فتظل بها .. ولا يني السامع يرددها بتذكرة وإجابة فختصر به تخفيفها .. وعجبي ذلك يحاول الوُلوج في عوالمها ودلالاتها وطرق تناولها مأخوذًا معيارًا ممثلاً.

2- المحور الثاني: المعرفة المعروفة:

وتقصده بالبنى الصرفية .. في أنفس الكلم .. مخصصة بتشكيلاتها وتبدلاتها الصوتية .. وما تستخدم عليه من أصول تشكل فضاءات إيقاعية متسلقة تفضى إلى بناء لغوى منسجم متوازن .. فلو اقت صيغة مكان صيغة .. أو قدمتها أو أخرتها لأدخلت بالبناء .. ولOIDدت النغم المتماوج المتداخل .. فتجاوز الأصول في المكون اللغوى يشكل النظام الصوتي .. ومن ثم يخطى إيقاعا صوتيا مناطقه ووجوهه انسجام الأصول المتجاورة .. فالalım أبا ثقيفة صوتية مادتها الأحرف وصولاً للحركات والسكتات من غير نظر إلى دلالتها (14).

فقوله تعالى : (ويل لكل) : انسجام في التفكير .. وفي تجاور اللامات
يسرب بينهما صوت الكاف.

وقوله تعالى: (٤ْ٦٠) التجارب الإيقاعي فضلاً عن صيغتي المبالية في وزان ( فعلية) وانضامات النداء كما تجسد السلوك الشائع.

فأما تحس جمال الإيقاع وتستشعره في تألف الكلمات وتأخيرها وتناسقها في الجمل، لحمت الكلمة بالكلمة، لا تبغي عنها انفكاكة تالفًا وانسجامًا (٢٦). وتم صيغ المبالية قوله تعالى: (٤ْ٦٠) فالتضمين له رلالة مشخصة على المبالية في الحرص والطموج، وإدارة تعداد المال تشاغلاً به عن عبادة الله وإيثاراً لتتاميه، يغذى كل حين كيما يتنامي ليحقق له المنزلة الاجتماعية الموهومة في الدنيا.

أما قوله تعالى: (٤ْ٦٠) فهي تجسد الوعم المخادع، والأمل الحاضر.

ومن صيغ المبالية قوله تعالى: في الحضنة، وزان (فعلية) التي تجسد الصورة المرعبة التي تكسر كبراء المتجرين المتمردين وتحطم نفوسهم النائمة.

ويختزن قوله تعالى: (٤ْ٦٠) طاقة تعبيرية هائلة ففيها إبدال، وإذاع.

يجسد شدة سرير النار في الجسد واختراقها أجزاء حتى تصل إلى الإحشاء.

وحشد النص القرآني جملة من الألوات التي تتخول النص وتتعاونه تفضى إلى الترابط والتماسك ومنها: تفضى إلى الترابط والتماسك ومنها:

١ - حروف الجر، ومنها: اللام، من قوله تعالى: (كل) وتفيد اللام الاستحقاق، وهو استحقاق يجسد العدالة في الجزاء.

٢ - حرف الجر في، من قوله تعالى: (في الحضنة) لتفيد الظروفية الحقيقية.
3 - ما الاستفهامية في قوله تعالى: (وما أدراك) والاستفهام يفيد التعجب وملته: (ما الحظمة).

4 - علي حرف الجر، من قوله تعالى: (علي الأثاثة)، ويفيد الاستعلاء، الذي يجسد الشمول والإحاطة، وملته: (عليهم).

5 - كل: أداة الزجر والتويج.

6 - اللام الواقعة في جواب القسم، في قوله تعالى: (ليذن).

7 - نون التوكيد القبلية: (ليذن).

2 - المحور الثالث: النظام النحوي:


ويقفنا البحث على جملة من المعاني النحوية، ولا سيما التعريف والتنكر، والتقديم والتأخير، والحرف والذكر، والتاكيد، وذكر ابن جني أن هذه المعطيات تنم على شجاعة العربية (18). وأشار إليها آخرون من الباحثين ونوهوا بها (19).

وهذه المعاني النحوية تعد من أثار التوليد والتحويل، فالمعاني تترتب في النفس، وفي عقيب ذلك ترد الكلمات على حسب ترتيب المعاني المستكملة في النفس (20). وهذه المظاهر التي أدن بها تشوهسي مشخصة في أنظارنا وأصولنا، التفت إليها علماؤنا في التقدم، في قوله تعالى: (إياك نعبد)، إذ قدم المفعول به للتخصيص، وملته قوله تعالى: (ولم يكن له كفوا أحد). قدم خبر يكن علي اسمها للعناية والاهتمام (21), وقد تلمح طروحات التوليد والتحويل
في موريثنا اللغوي بتوظيف النواسخ أو بآيات أخرى متنوعة (37).
وسينهض البحث بمضافة عدد من المظاهر النحوية الفائقة التي جعلت
بنائية السورة مشعة ، وألفاظها مشرقة تلف ألقاً وإيحاء ، وهذه بعضها:

1- أسلوب التنكر : وعلمه التنوين ، ومنه قوله تعالى : (ويل )، والغرض
من التنكر هو إفادة التعميم ، وإطلاق الحكم ، لكي يذهب ذهن المتلقى إلى أفق
 بعيدة من أنواع العذاب التي تنتظره ، فهو جامع كل أنواع العذاب ، إلا إذا
 ذهبنا مع الذاهبين إلى أن (ويل ) واد في جهنم ، ومنه قوله تعالى : (همزة
لمزة) : أفادت النكرة التعميم لجميع أشكال الهمز واللمز المستنكر الذي يجسد
الولع الشديد بالهمز واللمز لإلحاق الأذى والتنقص بالناس ، ومنه قوله
 تعالى : (كل) التي تفيد تعميم الحكم على كل الأفراد الذين يتعاطون النضمة ،
وبقترفون التفحيش على البشر ونلة (الذي) وقد أفادت هنا أيضا التعميم
وصيغ الذي وفروعا صيغ عموم مثل كل وجميع ، كقوله تعالى : (وسيئ الذين
کفروا إلى جهنم زمرآ) :

ومنه قوله تعالى : (مالآ) ، الذي يجسَّد الطعم الذي يرتكس إليه
المخاطب ، فشجعه الزائد جعله يتشوف إلى جميع المال ، أي مال ، وكل مال ،
وبائة وسيلة ، ومن أي وجه وفي الوقت نفسه تشكل أطروحة من لدن رب العباد
الذي يشير إلى تفاهة هذا الميل الذي كن هاجسة ، لا يغني عنه شيئاً إن لم
يهرع في وجه الخير والفلح ، فتأذن الخطاب السماوي بتحقيق المال يفضي إلى
شقاء صاحبه ، فالغرض من التنكر هو التعميم والتحقيق .

ويمكن الذكر الحكيم في تحقيق هذا المال بإضافته إلى صاحبه ، في قوله
 تعالى : (ماله ) يبدع على أن حابط داحض ، ولم يقل مال الله على نحو قوله
 تعالى : (نار الله المودفة) ، فماله هلال لتعلقه بها .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investotech.com
ويتجلى التفكير في قوله تعالى: "فأفي عمد سمدة؟" ليشخص حالة غريبة
مذهلة تمثل لهم السامع، كما ينسجي بينه وبين ممارساته المذكرة، فيزافلها.
وتشبه أن تكون الحالة مفعمة بالإدنار والتهريب.

2- أساليب القسم: ويبدو ذلك في مكون أسلوب واحد وهو قوله تعالى
"كلا ليبدو في الحظمة"، والتقدير: والله ليبدن، وهو قسم تقاضاه السباق،
فعل المتلقي كان شاكا من أطراف النار، ولا يخلده في الدنيا.
وهي أن المال لا يحبص صاحبه الحادث من عقوبة النار، ولا يخلده في الدنيا.
فجاء الأسلوب مكثفاً زاجراً مؤثباً، وجاءت الصيغة بلطف المضارع المبني
المجهول للدلالة على تأكيد وقوع الحدث، واستحضاره ماثلاً، ثم حذف المصمم
به واتكفي بالجواب لقوة الأيحاء والإشاع.

3- المنظومة الزمنية في السورة الكريمة: تنبدى الصيغ الزمنية متماوجة
بين العموم المطلق: "ولل لكل همزة لمزة"، وثارة تنتمى حول الصيغ
الماضوية: "الذي جمع مالاً وعدده"، كمما تسجل حالة راهنة مشهورة يتبين
بها المخاطب المعنى، ويتموج الزمن إلى الحاضر، فيلقع بالخاطر إلى الراهن
ليسجل المعيش الذي راج وحشي في دخيلة المتلقي لا بني يمارسه، وما ينقل
يعاقره: يحسب أن ماله أخلسه ويأتي رجيع نداء السماء بنقله إلى المستقبل
الممزوج بالحاضر، في وعيد عقدي حاسم: "كلا ليبدو في الحظمة". ويتنفس
الزمن بصيغ الاستفهام والتعجب ليسشكل رداً استثنائياً للصورة، ويعبأ الصورة
مستحضرة مختلطة للزمن الاستقبال البعيد، كما يصهر راهناً سردياً أبداً،
التي تطلع على الأفكار لتصير ثامنها سردياً جزءاً وفقاتاً لكل منحرف، كلما
غاقر هذه المعاصي، فلا تغيب عن ذه المثلق سجيس الليل وأبداً الدهر،
فيقيل نفسه على سمت ذلك التوجيه الرباني، الذي يبلغ مراث السعادة والصفاء
مع نداء السماء.
4- البناء للمجهول: يتجلى ذلك في قوله تعالى (ليذذن). وفي صيغ اسم المفعول في قوله تعالى (مؤصة) اسم المفعول في قوله تعالى (ممدودة) والغرض من حذف الفاعل هو الإبهام على السامع للتشويق والتهويل، فالمخاطب مأخوذ بمن سيتبذل ويثقيه في آتون النار، لا يدري من من الملكة سيصوب الباب، ولا يعرف من سبيلد له الأعماة، من قبل أن المسألة منبوطة بروية غيبة على المسلم أن يهتعله، ويستسلم بعد أن حصص له الحق، والقصد هو الترهيب والتخويف، ليقصر عن هذا السلوك، فلا يطاله ذلك العذاب المرعب، فحينئذ تبدو الصورة مرعبة تذهب بالذهن مذاهب شتى، فيكون له رهاب تعينه أكثر من عرض الحقائق مباشرة، وحذف المسند إليه إن كان فاعلا من سنن العربية، وله مسوغات لفظية أو معنوية يقتضيها موقف، وهي مبسوطة في مظانهم، شاخصة في أنظارهم، تتسمثم (٤٢).

4- المحور الرابع: المحور الأساسي.

عينا بهذا المحور المعطيات البلاغية، التي تجعل الأسلوب شفافا مؤلفاً، ومن ذلك:

1- الإيجاز: الذي يجعل الكلمات مثقلة بالدلالات والإيحاءات التي تشع توجيهات مقنعة، تأخذ السامع، وتبلغ الكلام آسماً درجات الفصاحة، وتحله في أسماق مقام من الخفة والإرهاصة، وتحلم ذلك في قوله تعالى (ويل) التي تستجمع كل ما يخطر باللبي من العذاب في الدنيا والآخرة، والويل صباع جامعته وهي أشد من الويس، والويس أشد من الوعي، والوعي أشد من اللبيب، وقال الحسن: و蔖 لكلمة رحمة، وكلها مصدر جامعدة، ما صرفت العرب منها فعل (٤٢).
2- ماتحمله صيغة: لنبتذ من طاقات تعبيرية هائلة فقيها صورة فنية
موصلة على الازدراء والعنف، فلا مشاحة أن المنبوذ شيء مستكر محترق، فهي
صورة مرسومة لهذا المصير المحتوم للتمام والمستهر بالناس، ولم يشغل
نفسه يجمع المال عن دين الله، يقبض عليه يتقرر ثم يطرد بعيدا في قرار النار.
فهي صورة مفعمة بالمهانة والمفاخرة.

3- المفارقة الأسلوبية المؤصلة على ضدية التوقع والواقع فالمخاطب
المعنى مغرو مستكر يتوافق الخلوذ، فيعلمه الله بالندب في النار فيحس
الاختلاج، ويستثمر الإبلات والانكسار فتصير الصورة واقعة بين قضي الواقع
والتوقع، التوقع: «يحسب أن ما له أخليده»، أما الواقع فهو: «كلا لنبذ في
الحكمه»، لبرتكس كل ما ينحو هذا المنحنى المجرف إلى هذا الإحباط
والانكسار فيفسخ بنفسه عن سلوكيه، ويحصر عنه.

4- توظيف أسلوب الاستفهام والتعجب: «وما أدراك ما الحظمة».

5- لتداخل المعرفة عن الكينونة، مع التعجب والإبهار الذي يتلمس白马.
6- صورة الملهف المشغول بجمع المال من أي وجه، وما يلحقه من
معاناة في قناعة، وصورة عده المال في كل حين خلسأ أو جهارا، مذعورا لثلا
ينكشف أمره أو يتضح شأنه، أو لنلا يرزى بينقشه أو يختمر منه شيء.
فهو مهموم مهجوس مازوم بالجمع والمد والسعي إلى تنامي المال وتكثيره.

6- صورة النار المرعبة، إذ جعلها حظمة تهشم الجسم وتحطمه، وهي
ابداً موقعة لا تنطفئ لها جدوى، وهي نار الله لعظمتها، فهي نار مميزة يقابلها فيما جملة من الصفات التي جعلتها متضرمة مرعبة، تطلع على الأفئدة لها عند
ممددة، مما يحقق دقة عالية من التخوف والرهبة لنلا تطال المعنى عقوبتها بل
يجب أن يشكن نفسه مهطعا إلى نداء الحق، فلا يقارف إصرارا، ولا يعتني شيئا.

إذاً.

وقد قلنا الكلام أن الصورة استجعت ألوانها من الصور الفنية التي جعلتها لوحة فنية معمرة تسحر الألباب، وتملك المشاعر، فلا يملك السامع إلا أن يفتح قلبه قبل أن تلقى الرسالة السماوية العاببة بالتوحيه والإصلاح، وبينة شخصية إسلامية مستقيمة على الحق، نقية من الفساد، تعمر الأرض وبني المجتمع الصالح الراشد، فتحقق له سعادة الدارين.

الخلاصة:

1- هذه السورة مفعمة بتقنيات فنية، وقيم تعبيرية فريدة مميزة، ترتد إلى هذه البنائية الصوتية في إنسجام القيم الصوتية المتزاورة، والتألف في المنظومة الصوفية المتلاحمة الصيغ، بما يقضي إلى إيقاعات فظيعة تشكل جرسبا إيقاعيا يشخص الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ينبغي أن ينحى التحليل اللغوي المعاصر إلى تتبعه للوقوف على أبعاده وفرائده في استهداف شخصية المسلم.

2- أطرف النص القرآني في هذه السورة فيما نحوية موقعة لافتة، أعطته قوة في التماسك والتلاحيم، وقدرة فائقة في الاقتباع والإعجاب، وكانت الصورة الفنية المستبِنة رداءاً للقارئ على التماسح مع النص والتعاطف مع طروحاته فجاءت معطيات السورة الصوتية والصرفية والنحوية والبلاغية في بنائية فذة فافترزت ناتجا نسياً ما هو بشر ولا بشر، إنه القرآن الكريم القديم بالتنقيص والتأمل والاستنباط.
Abstract

Integrative linguistic Study on (Surat Al-Humzeh)

This integrative linguistic study on "Sura Al-humzeh" in the Holy Koran covers the phetoric areas.

The present study has shown that the sura has a distinguished phonetic, morphological and syntactic system used by the text as amedium of religious percrptions that target the moslem character.
هوامش البحث

1. الأشباه والتظاهر السبئي 6/105.
2. تفسير القرطبي 182/20، تفسير الطبري 189/20، إعراب ثلاثين سورة لابن خالوية (179).
3. النكت في إعجاز القرآن الكريم: للزمائي 88 ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.
4. نفسه 88.
5. نفسه 89.
6. المدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبد التواب 64.
7. مناهج البحث في اللغة: د. تمام حسان 106، اللغة العربية معناها ومبناها.
8. المزهر: للسيوطي 197/1 مبادئ اللسانيات د. أحمد قدور 136.
9. العين: للكيل 81/7.
11. الخصائص لابنى جنی 2/5.
12. نفسه 2/6 وينظر فقه اللغة العربية د. كاصد الزيدي 139.
13. دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجانى 258.
(15) التصوير الفني في القرآن: سيد قطب
(16) دلائل الإعجاز: للجرجاني 199
(17) نفسه ص 300 وينظر في النحو العربي نقد وتوجيه: مهدي المخزومي 14
(18) الخصائص لابن جني 26/20
(19) فقه اللغة للعلايلي 26-27، الصحابي في فقه اللغة 246
(20) دلائل الإعجاز 40
(21) الكتاب 6/1
(22) في نحو اللغة وتراثها: د. خليل عميرة 134 الألفية التوليدية والتحويلية: د. ميشال زكريا 89، النحو العربي والدرس، الحديث: د. عبده الراجحي 149
(23) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب: محمد الأمين الشنقيطي 179
(24) إعراب ثلاث سورة: لابن خالويه 178
(25) الخصائص 3/6 وعلم المعاني: د. عبد العزيز عتيق 137
المصادر والمراجع

(1) الأشياء والنظائر: السيوطي، دائرة المعارف النظامية: بحيدر آباد.

(2) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم: ابن خالويه، المكتبة الثقافية، بيروت.

(3) إعجاز القرآن: مصطفى صادق الرافعي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

(4) الأسسية التوليدية التحويلية: ميشال زكريا، بيروت، 1982م.

(5) تفسير الطبري: دار المعرفة.

(6) التصور الفني في القرآن: سيد قطب، دار الشروق، بيروت.

(7) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: محمد زغلول سلام، دار المعارف.

(8) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، دار إحياء التراث، بيروت.

(9) الخصائص: ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، الهيدي، بيروت.

(10) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب: محمد الأمين الشنقيطي.


(12) الصائغ في فقه اللغة: ابن فارس، تحقيق مصطفى الشويمي، بيروت.

(13) علم المعاني: د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت.

1972م.
(14) فقه اللغة : الشهابي، مصطفى البابي البلبي. 
(17) في نحو اللغة وترابيها : د. خليل عمايرة، عالم المعرفة، جدة.
(18) الكتاب : سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب.
(19) اللغة العربية معناها ومبتهاها : د. تمام حسان، الهيئة المصرية العامة.
(20) مباحث في علوم القرآن : د. صبحي السالم، دار العلم للملائين.
(21) مبادئ اللسانيات : د. أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، 1996.
(22) المدخل إلى علم اللغة : د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، 1980.
(23) المزهر: السيوطى، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، والآخرين، القاهرة.
(24) مناهج البحث في اللغة : د. تمام حسان، ط 2، الدار البيضاء.
(25) النبي العظيم : د. محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت.
(26) نحو العربي والدرس الحديث : د. عبد الراجحى، دار النهضة العربية، بيروت، 1979.